

الفصل الرابع

منهج تحليل المحتوى

منهج تحليل المحتوى

تحليل المحتوى

بداية يمكن القول بأنّ المحتوى هو نوعية المعارف التي تختار وتنظم على نحو معين وكلمة المعارف هنا كلمة عامة تشير إلى كل ما يمكن تقديمه للمتعلمين من معلومات ومفاهيم ومهارات، وقواعد وقوانين ونظريات، وما يرجى إكسابه للمتعلمين من قيم واتجاهات وميول.

ويعد المحتوى من عناصر المنهج الأساسية التي يمكن من خلالها تحقيق أهدافه لذا فإنّ واضح المنهج تواجهه مشكلة اختيار أنسب محتوى للأهداف الموضوعية من بين كم هائل وكيف متنوع من المعرفة (كمال زيتون، ١٩٩٧).

و يدعم هذه الفكرة ما يذكره حمدي عطيفة (١٩٩٦) عن مفهوم المحتوى، إذ يقول " المحتوى هو كل ما يقوله الفرد أو يكتبه، ليحقق من خلاله أهدافاً اتصالية مع آخرين .. وهو عبارة عن رموز لغوية يتم تنظيمها بطريقة معينة ترتبط بشخصية الفرد (مصدر) وسماته الاجتماعية، فيصبح مظهراً من مظاهر السلوك يميزه عن غيره من الأفراد، ويستهدف جمهوراً محدداً بسماته واحتياجاته واهتماماته، ليدرك ما في المحتوى من معاني وأفكار فيتحقق اللقاء والمشاركة بين المصدر والجمهور".

أما عن التحليل فهو عملية ملازمة للفكر الإنساني، تستهدف إدراك الأشياء والظواهر بوضوح، وذلك من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض، ومعرفة خصائص أو سمات هذه العناصر وطبيعة العلاقات التي تقوم بينها. وهذا ما ذهب إليه محمد الهادي (١٩٩٥) في قوله بأنّ "التحليل هو التجزيء أو التفريع إلى المكونات الأصغر وتحديد العلاقات والتفاعلات والتدفقات وتقييم وتقرير مدى الفاعلية"،

لذا فالتحليل يمثل عملية انتقال من المجهول إلى المعلوم ، لأن البدء يكون بفكرة كلية غامضة، وينتهي إلى عناصر محددة واضحة. وهنا وجه شبه قوى بين الاستقراء والتحليل، لما فى الاستقراء من الانتقال من المجهول إلى المعلوم أى من الظواهر المعقدة إلى القانون الذى يفسرها ومن هنا كان الاستقراء أرقى أنواع التحليل (عبد اللطيف العبد، دت)

(١) تعريف تحليل المحتوى

تنتمى جُل تعريفات تحليل المحتوى إلى مجال العلوم الاتصالية، فتركز على اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي والموضوعي والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى. وبهذا يمكن النظر إلى تحليل المحتوى على أنه أسلوب في استقراءى يركز على تحديد ما تنطوى عليه الرسائل من معان ودلالات كامنة.

فتحليل المحتوى – كما عرفه جانيس (١٩٤٣) هو "الأسلوب الذى يستخدم في تصنيف وتبويب المادة الإعلامية، ويعتمد أساساً على تقدير الكاتب أو مجموعة الباحثين ويتم بمقتضاه تقسيم المحتوى إلى فئات بالاستناد إلى قواعد واضحة بافتراض أن تقدير القائم بالتحليل يتم على أساس أنه باحث علمي، وتحدد نتائج تحليل المحتوى تكرارات ظهور أو وريد وحدات التحليل في السياق" (محمود اسماعيل، ١٩٩٦). وهذا يعنى أنّ الكاتب المتبنى لهذا المنهج يقوم بتحويل المحتوى من خلال التطبيق الموضوعي والمنظم لقواعد التصنيف – إلى بيانات يمكن تلخيصها ومقارنتها" (محمد مرسى، ١٩٩٤).

وهكذا يمكن التمييز بين اتجاهين رئيسيين لتعريف تحليل المحتوى: الأول هو الاتجاه الوصفي، والذي عاصر فترة النشأة واستمر بعد ذلك، وعنه استعار العديد من الخبراء

والباحثين تعريفهم لتحليل المحتوى وتطبيقه. ويركز أصحاب هذه الاتجاه على هدف الوصف للمحتوى فقط، الذي يتم على الظاهر فقط من هذا المحتوى.

أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه الاستدلالي والذي يتجاوز حدود وصف المحتوى الظاهر، إلى الكشف عن المعاني الكامنة وقراءة ما بين السطور، والاستدلال عن الأبعاد المختلفة لعملية الاتصال. هذا وقد أضاف تحليل المحتوى بمفهومه الحديث طابعاً جديداً للبحوث التحليلية ألا وهو استنباط طريقة محسنة للمعالجة الكمية للمادة البحثية، ومما لا شك فيه أن المعالجة الكمية عنصر ضروري في إجراء البحوث العلمية على اختلاف ضروبها.

(٢) أهداف تحليل المحتوى

يهدف تحليل المحتوى في الدراسات الإعلامية إلى أمرين أساسيين هما:

١. الكشف عن أهداف ودوافع المرسل.
 ٢. التعرف على الآثار المتوقعة لمحتوى الرسالة على اتجاهات الرأي العام.
- بينما يهدف المنهج التحليلي في علم الاجتماع الي دراسة وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك في محاولة لوصف مضمون هذه الوسائل وتقديم بعض الافتراضات عن التغيير الذي يطرأ على هذا المحتوى عبر الوقت والتأثير الذي يمكن أن تمارسه المادة المقدمة على الجمهور الذي يتلقاها. وينبغي أن يتبع الباحثون الاجتماعيون في وصفهم لمضمون عملية الاتصال طريقة منهجية وموضوعية (محمد الجوهري و عبد الله الخريجي، ١٩٨٠).

أما عن البحوث التحليلية في مجال المناهج وطرق التدريس فتجدر الإشارة إلى أن أغلبها يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بنشاط من النشاطات التربوية، مثل دراسة صلاحية مقرر ما على صف من الصفوف ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما

يمكن استخلاصه منها لتقرير ذلك المقرر أو تعديله أو استبداله، وكذلك يستخدم المنهج التحليلي في قياس اتجاهات وميول وقيم المتعلمين نحو الانماط التدريسية المختلفة. ويمكن القول بأن الهدف من إجراء هذا النمط من البحوث في مجال المناهج وطرق التدريس يكمن في واحد أو أكثر من النقاط التالية:

١. اكتشاف أوجه القوة والضعف في الكتب المدرسية والمواد التعليمية التي تستعمل الآن وتقديم أساس لمراجعتها وتعديلها عند الحاجة، وينبغي على الدراسات التي تجرى على هذه الكتب أن تدلنا على أي الموضوعات أكثر قيمة.
 ٢. تزويد المؤرخين والجغرافيين وغيرهم من العلماء بالفرصة للعمل تعاونياً مع المعلمين ومديري المدارس وقادة العمل الحكومي والعام وذلك لتحسين الكتب المدرسية والمواد التعليمية.
 ٣. تقديم المساعدة للمؤلفين والمحريين والناشرين في إعداد كتب مدرسية جديدة وذلك بتزويدهم بمبادئ توجيهية والإشارة إلى ما ينبغي تجنبه وما يجب تضمينه.
 ٤. تقديم مواد مساعدة في عملية مراجعة برامج الدراسة ككل، وفي إعداد المعلمين والإداريين، وفي اختيار الكتب المدرسية والمواد التعليمية.
- أما في مجال أصول التربية فجهود الباحثين منسوبة على استخلاص القيم والمضامين التربوية عند أعلام الفكر والأدب. وتذهب الدراسات التحليلية في علم النفس والصحة النفسية إلى ما وراء الآراء والبيانات المستخلصة لتفسير السلوكيات المرضية وأسبابها ودوافعها وسمات أصحابها ومن ثم طرح أساليب وبرامج علاجية مناسبة.

(٣) أسس وضوابط استخدام تحليل المحتوى :

يسير تحليل المحتوى – كما يذكر فتح الباب سيد (١٩٨٣) – وفقاً لضوابط محددة جعلت منه طريقة منهجية وموضوعية. هذه الضوابط هي:

١. تحديد أصناف التحليل أو التصنيف الذي يخضع له المحتوى تحديداً واضحاً في معالته بشكل يمكن الباحثين الآخرين من تطبيقه على نفس المحتوى للتأكد من النتائج التي وصل إليها الكاتب الأول.

٢. ضرورة تصنيف المحتوى المراد تحليله تصنيفاً منهجياً. فليس المحلل حراً في أن يحلل شيئاً من المحتوى ويترك شيئاً آخر إلا وفق هذا المنهج الذي وضعه ويقصد بهذه القاعدة أن ينصب اهتمام الكاتب على المحتوى نفسه وأن يكون استقراءه شاملاً منبثقاً من طبيعة وخصائص المحتوى.

٣. استخدام بعض الإجراءات الكمية للوصول إلى مقياس لأهمية المفاهيم والقيم الموجودة في المحتوى، وإمكان مقارنة هذا المحتوى بغيره من المحتويات الأخرى.

(٤) خصائص تحليل المحتوى

تحليل المحتوى – كما يراه مجدي ابراهيم (١٩٨٩) – عبارة عن طريقة لدراسة وتحليل مادة اتصال لفظية أو سمعية أو مرئية أو إشارية بأسلوب منظم وموضوعي وكمي بغرض قياس بعض المتغيرات التي تعكسها المادة الاتصالية موضوع الدراسة. من هنا يمكن تحديد خصائص تحليل المحتوى في عدة نقاط رئيسية هي:

(١) أنه أسلوب للوصف

يقصد بهذا الوصف الموضوعي للمحتوى دون إقحام مشاعر القارئ بالتحليل أو التعبير عن انطباعاته الخاصة على المحتوى الذي يحلله، أو تفسير هذه المحتوي من وجهة

نظر خاصة لا ينص المؤلف عليها صراحة، ويقتضي ذلك من الكاتب أن يوصف ويصنف المادة التي يحللها إلى فئات مسجلاً لكل فئة خصائصها، مستخرجاً السمات العامة التي تتصف بها ومنتهاياً من هذا بتفسير موضوعي دقيق لمضمونها (رشدي طعيمة، ١٩٨٧).

٢) أنه أسلوب موضوعي

الموضوعية صفة أساسية من صفات العمل العلمي ومقوم من مقوماته وتعني النظر إلى الموضوع نفسه دون تأثر بالذات. وتطلق لفظة الموضوعية علي أية أداة من أدوات تحليل المحتوى شريطة أن تتسم هذه الأداة بأمرين أثنين:

- ١) أن هذه الأداة تقيس بكفاءة ما وضعت لقياسه. أي أنها تقوم بتحليل مادة الاتصال وتعرف اتجاهاتها واستخلاص الصفات التي تميز ظواهرها دون أي عمل آخر. أي أنها - بلغة القياس - أداة يتوافق فيها شرط الصدق. وينبغي علي الكاتب - وفقاً لهذا الشرط - أن يقدم مؤشرات إجرائية لفئات التحليل لا يختلف الباحثون بشأنها ويقطع بذلك الطريق أمام الأهواء الذاتية التي تدفع ببعض الباحثين إلى لي ذراع المادة العلمية لتتفق مع ما يطرحونه من توقعات أو يصوغونه من فرض.
 - ٢) أن هذه الأداة يستطيع باحثون آخرون استخدامها في تحليل المحتوى، كما يستطيع الكاتب نفسه معاودة استخدامها لتحليل المادة نفسها. والباحثون في كل هذه الحالات يصلون إلى درجة عالية من الاتفاق بينهم في نتائج هذا التحليل. أي أن الأداة - بلغة القياس أيضاً - يتوافق فيها شرط الثبات.
- والموضوعية بهذين الشرطين السابقين كفيلة بأن تعصم الدراسة العلمية من تفاوت التفسيرات الفردية ومن الرئي الذاتية لبعض الباحثين.

(٣) أنه أسلوب منظم:

ويعني التنظيم أن يتم التحليل في ضوء خطة عملية تتضمن وصفاً متكاملاً للإجراءات البحثية والتحليلية، وتحديدًا للطرق التي ستتبع في الحصول على المادة العلمية المطلوبة.

(٤) أنه أسلوب كمي:

وذلك يعني أن عملية التحليل تعتمد على التقدير الكمي باعتبارها أساساً للدراسة ومنطلقاً للحكم على انتشار الظواهر، حتى أن بعض الباحثين - كما يذكر سمير حسين (١٩٩٦) - يذهبون إلى الحاجة إلى تحليل المحتوى - كأسلوب وأداة تنتفي في حالة عدم الإجابة على التساؤل البحثي المطروح إجابة كمية. والتعبير الكمي عن مختلف البيانات المتوافرة يتطلب رصد مدى التكرارات المتضمنة في فئات التحليل المختلفة بطريقة رقمية تمكن من التعامل معها إحصائياً.

وعلى الرغم من وضوح أهمية التحليل الكمي والكيفي، إلا أن بعض الباحثين أثاروا جدلاً حول أولوية كلا النوعين من التحليل، وما نوع الأسلوب التحليلي الذي يجب أن يستند إليه الكاتب بصفة أساسية في تحليل المحتوى، هل هو الأسلوب الكمي أم الأسلوب الكيفي؟ والواقع أن الأسلوب الكمي والأسلوب الكيفي لتحليل المحتوى أسلوبان متكاملان، فالاعتماد على الكم وحده يعد مظهرية إحصائية، كما أن التحليل الكيفي في غياب الضبط الإحصائي لا يؤدي إلى نتيجة علمية.

(٥) العمومية:

ومعنى ذلك أن يكون هناك مجالاً للإفادة من نتائج التحليل في دراسات أخرى وفي أبحاث علمية مستقبلية وأن تكون هذه النتائج قابلة للتعميم. وتجدر الإشارة إلى أن هذه

الصفة ليست في الواقع وقفاً على طريقة تحليل المحتوى وحدها بل إنها مشتركة مع جميع طرق البحث العلمي (محمد بركات، ١٩٩٣).

(٦) العلمية:

أن تحليل المحتوى أسلوب من أساليب البحث العلمي لا يقلل في ذلك قدره عن غيره من الأساليب، فطالما أن الأسلوب يستهدف الكشف عن العلاقات بين الظواهر، ويضع تعريفات محددة لفئات التحليل، ويتصف بالموضوعية، فإنه بذلك يعد أسلوباً من أساليب البحث العلمي (حمدي عطيفة، ١٩٩٦).

(٥) إجراءات تحليل المحتوى

لأي أداة علمية مجموعة من الخطوات أو المراحل المنهجية التي تصل بها إلى شكلها النهائي الصالح للتطبيق والاستخدام. وكما هو الحال بالنسبة للخلاف حول تعريفات تحليل المحتوى، والخلاف حول كونه أداة أم طريقة أم منهج، فهناك اختلاف أيضاً حول الخطوات المنهجية لتحليل المحتوى. وهذا الخلاف لا يقلل من أهمية تحليل المحتوى ولا يمنعنا من رصد الخطوات التالية:

(١) تحديد مشكلة البحث:

فكما هو الحال في أي دراسة بحثية، فإن عملية تحليل المحتوى رسالة ما يجب أن تبدأ بوجود مشكلة ما يساعد تحليل المحتوى في الوصول إلى حل نهائي لها.

(٢) تحديد مجتمع البحث:

أي المادة أو المواد التي سوف تخضع للدراسة. وهنا قد يتضمن مجتمع البحث مقالات الأعمدة المنشورة بالأهرام والأخبار والجمهورية والوفد والأهالي... خلال فترة زمنية معينة.

(٣) اختيار عينة التحليل:

يحتاج الكاتب في الدراسات المتضمنة في تحليل المحتوى إلى أن يفكر في العينة التي سيخضعها للتحليل، وذلك كما هو الحال مع أي دراسة بحثية أخرى، ونظراً لأنه من الصعب، بل من المستحيل - في بعض الحالات - أن يجري الكاتب تحليلاته على المجتمع الأصلي بأكمله، فإنه يحتاج إلى أن يفكر بعمق في كيفية اختيار عينة تمثل هذا المجتمع الأصلي تمثيلاً صادقاً؛ ولذا فإن على الكاتب أن يسأل نفسه سؤالين أساسيين، هما: ما حجم المجتمع المطلوب تحليله؟ ما هو الحجم الأمثل للعينة التي يمكن سحبها من هذا المجتمع؟

وعلى الرغم من أن أسس اختيار العينة في تحليل المحتوى لا تختلف عن الأسس العامة لاختيار العينات، إلا أن هناك بعض القرارات الخاصة بعملية المعاينة في تحليل المحتوى، فإن هناك ثلاثة مستويات أو مجتمعات - مطلوب سحب عينة من كل منها وهذا المستويات هي:

- أ) مستوى المصادر.
- ب) مستوى التواريخ أو الأعداد أو الطباعات.
- ج) مستوى المحتوى أو مادة التحليل (حمدي عطيفة، ١٩٩٦).

(٤) تحديد وحدات التحليل:

يسعى تحليل المحتوى إلى وصف عناصر المحتوى وصفاً كمياً، وتحقيق ذلك الهدف ينبغي أن يتم تقسيم المحتوى إلى وحدات أو "فئات" أو "عناصر" معينة حتى يمكن القيام بدراسة كل عنصر أو فئة منها، وحساب التكرار الخاص بها.

وبهذا يمكن تعريف وحدات التحليل بأنها وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة، ويعطي وجودها أو غيابها أو تكرارها أو إبرازها دلالات تفيد الكاتب في تفسير النتائج الكمية. وتبعاً لأعراض البحث وفرضه، فإن الكاتب يبدأ في تقسيم المحتوى إلى الوحدات القابلة للعد والقياس، أصغرها الكلمة وأكبرها الفكرة.

ويجب أن يفرق الكاتب بين مستويين من وحدات التحليل:

الأول: وحدات التسجيل :

وحدات التسجيل هي أصغر وحدة يظهر من خلالها تكرار الظاهرة. بمعنى آخر، فإن وحدة التسجيل هي أصغر جزء في المحتوى يختاره الكاتب ويخضعه للعد والقياس، ويعبر ظهوره أو غيابها أو تكرارها عن دلالة معينة في رسم نتائج التحليل مثل الكلمة أو الجملة أو الفقرة.

الثاني: وحدات السياق

وهي وحدات لغوية داخل المحتوى (جملة/ عبارة/ فقرة/ موضوع) تفيد في التحديد الدقيق لمعاني وحدات التسجيل التي يتم عليها العد والقياس، فهي الوحدات الكبرى لوحدات التسجيل فإن الجملة تصبح وحدة السياق التي يجب قراءتها بعناية، لتحديد مدلول الكلمة وترميزها في المكان الصحيح.

وتجدر الإشارة إلى أن وحدات التحليل سواء استخدمت كوحدة تسجيل أو وحدة سياق، فإنها لن تختلف عن كونها أجزاء من المحتوى يتم عدّها وقياسها للاستدلال من خلال النتائج، ولكنها تأخذ هذه المسميات من علاقتها النسبية ببعضها البعض في البناء اللغوي للمحتوى.

(٥) العد والقياس

العد والقياس هو المطلب النهائي في عملية الترميز، ويمهد للعرض الإحصائي وعقد المقارنات ودراسة الارتباطات، وتفسير النتائج الكمية المعبرة عن السمات الخاصة بالمحتوى.

(٦) تحديد درجة صدق أداة التحليل:

من المعلوم أنّ هناك أربعة أنواع من الصدق، هي: صدق المحتوى، الصدق التنبؤي الصدق التلازمي، صدق البناء، وأكثر أنواع الصدق استخداماً في تحليل المحتوى هو: صدق المحتوى، والذي يعتمد أساساً على قيام الكاتب بفحص الفئات، لمعرفة مدى اتصالها بأهداف الدراسة، ولا يكفي الكاتب بفحصه للفئات وإنما يقوم أيضاً بعرضها على عدد من المحكمين؛ لفحصها في ضوء المعايير أو الأهداف المحددة سلفاً (محمود اسماعيل ١٩٩٦).

وهناك شروط أساسية لإقرار صحة أو صدق النتائج الوصفية، وهي: (حمدي عطيفة، ١٩٩٦):

١. كفاية تمثيل عينة المصادر، والتأكد من شمولها لكافة المدخلات الخاصة بالفئات والوحدات.
٢. التعريف الدقيق بالفئات والوحدات مع توفر شروط اختيارها، كالأستقلال والشمول ومدى وفائها باحتياجات البحث وأهدافه.
٣. التأكد من شمول استمارات أو بطاقات التحليل لكافة المدخلات الخاصة بالفئات والوحدات.

(٧) تحديد درجة فئات أداة التحليل:

ويقصد بالثبات - كما هو معلوم - أن تعطي الاستمارة نفس النتائج إذا أعاد الكاتب تطبيقها بعد فترة من الزمن على نفس المحتوى. وأيضاً أن يصل المحللون المختلفون لنفس النتائج عند استخدام تلك الاستمارة على نفس المحتوى أو يكون بينهم نسبة عالية من الاتفاق (محمود اسماعيل، ١٩٩٦).

(٦) مزايا تحليل المحتوى

من مزايا تحليل المحتوى أن هناك إمكانية لإعادة التحليل من خلال باحثين آخرين حيث يمكن تثبيت مادة التحليل، فالصحف والمجلات والكتب موجودة ويمكن حفظها على أفلام. ومواد الراديو والتلفزيون وأفلام السينما يمكن للباحث تسجيلها لتحليلها في أي وقت. ويمكن للباحثين آخرين إعادة تحليل نفس المادة. مما يعطي ثبات ومصدقية لنتائج التحليل، بعكس الأدوات الأخرى كالاستبيان والمقابلة فمن الصعب إجراؤها على نفس العينة مرة أخرى بنفس الظروف (صلاح الفوال، ١٩٨٢).

ومن مزايا تحليل المحتوى أيضاً أنه من أفضل الأدوات التي تعطي معلومات وفيرة يمكن جدولتها وتبويبها ومعالجتها إحصائياً بما يخدم أهداف البحث.

يستطيع الكاتب أن يعاود الاتصال بمصادر بحثه كيفما شاء أو دون قيود أو معوقات. هذا علاوة على إمكانية استعادة مواد الدراسة مرة أخرى لأن معظمها محفوظ في أرشيف أو على أرفف الكتب أو مكتبات الأفلام والبرامج والمواد المذاعة.

من خلال عملية التحليل يمكن التعرف على كيفية تعلم المتعلمين، وما هي المتغيرات أو الظروف التي تؤثر في عملية التعلم؟ وما هي نواحي اختلاف الأفراد بالنسبة لعملية

التعلم..من ثمّ يساعد تحليل المحتوى على زيادة كفاءة المعلم في مواجهة الفريق الفردية بين المتعلمين بوجه خاص، وتحسين العملية التعليمية بوجه عام.

كما يساعد تحليل المحتوى علي تتبع الأنشطة الدراسية والممارسات اليومية للطلاب ومن ثمّ تحليلها والوقوف علي نواحي القصور فيها بغرض تحسينها وتطويرها (جابر عبد الحميد و أحمد كاظم، ١٩٧٨).